



علي الخلفاء

# «الجنرال»: ستهزم أميركا في سوريا

إيلي حنا، حسيب الأمليت

لم تكن علاقة الحاج قاسم سليمان بسوريا وليدة الحرب، على الرغم من أنها بلغت ذروتها خلالها. هذه العلاقة بدأت مبكرة قبل تحرير الجنوب في العام 2000 بسنتين، حين تم تعيينه كقائد لـ«فيلق القدس» عام 1998. آنذاك، كان قادة «الحرس الثوري» المعنويين ومتابعة الملفات الخارجية، وخصوصاً العلاقة مع قوى المقاومة في لبنان وفلسطين، يتخونون من سوريا مكاناً لإقامتهم. منذ ذلك الوقت، كان الحاج قاسم ينظر إلى سوريا كقاعدة «أمنة» لتوزيع المهام وعقد اللقاءات، والاستفادة من موارد الجيش السوري وقدراته، وإيضاً من وجود شخص رئيس للجمهورية بشار الأسد. في ما بعد، كان الغزو الأميركي للعراق عام 2003، حيث ظهرت سوريا كهدف تال للغزو الأميركي، وشكلت في ذلك الوقت قاعدة لرفع المقاومة العراقية بالتجهيزات والسلاح لقتال الأميركيين، وهو ما كان لقاسم سليمان دور بارز فيه.

على الرغم من قدم نشاط قاسم في المحافظات الأخرى. رابعاً، منع قطع الوصل بين غرب سوريا وعاصمتها

دمشق عبر منع سقوط حمص». بعد ذلك، شرع الحاج بالتعاون مع القيادة السورية في بناء جيش رديف (الدفاع الوطني) وتطويره. كان تشخيص الحاج قاسم أن «الأعداء ذاهبون إلى تدخل أكبر بكثير في الحرب في سوريا، ولن نقتل مكتوفي الأيدي». أظهر اهتماماً خاصاً بمعارك محافظة حمص، وخصوصاً منطقة القصر، ومعارك ريف دمشق الشمالي الغربي، وخصوصاً منطقة القلمون. تابع معارك القلمون الأولى والثانية بنفسه، وجمال خلالها ميدانياً. «كان يرى فيها بعدين: الأول أن هذه المناطق تمنح قدرة على تأمين شريان حياة للعاصمة دمشق نحو لبنان وحماية الأخير، والثاني تأمينها ضمن خطط تحصين العاصمة السورية». في تلك الفترة، بدأت المعارك في الساحل أيضاً، ليبدأ الحاج بتعزيز «الدفاع الوطني» بالعتاد والعديد، مولياً اهتماماً أيضاً للحرب الإعلامية والنفسية ضد المسلحين ومثليهم.

في العام نفسه الذي انطلق فيه العمل لتأمين دمشق، خصوصاً من جهة لبنان، برز تهديد الولايات المتحدة بـ«الرد» على هجوم كيميائي مفترض وقع في ريف دمشق، واتهم به الجيش

على خطّ الحرب السورية. هكذا، توجه إلى موسكو، بعد «اتصالات روسية إيرانية رفيعة المستوى أدت إلى اتفاق يقضي بضرورة ضخّ دعم جديد للأسد»، و«توفير أسلحة روسية أكثر تطوراً للجيش السوري، وإنشاء غرف عمليات مشتركة تجمع

هؤلاء الحلفاء معاً بالإضافة إلى جنوباً، ومع بدء الغارات الإسرائيلية في سوريا، ذهب الحاج مباشرة لاطلاق المقاومة الشعبية في الجولان، وكان مسالة «ربط نزع» أكثر من كونه اتجاهاً عملياتياً ضخماً. بعد غارة



(الاجبا)

كان استحقاق الشمال السوري منعطفاً حقيقياً في الحرب، أولاه الحاج قاسم اهتماماً كبيراً. يقول أحد القادة الميدانيين الذين شاركوا تحت قيادته في المعركة إن الحاج «تواجد شخصياً في الميدان وعابن السواتر بنفسه»، كما كان يقوم «بعشرات الرحلات، بعضها يومي، بين بغداد ودمشق وبيروت وطهران» لتنسيق العمليات. شكلت معركة حلب بالنسبة إليه «المعركة الحاسمة». كان الرئيس الأسد، بعد السيطرة على المنطقة الوسطى، قد رأى أن تكون حلب هي الوجهة المقبلة، وهو ما تبناه الحاج أيضاً. لم يتأخر سليمان عن المهمة: سرعان ما بدأ بالتخطيط، ليُعلن لاحقاً عن غرفة «عمليات الحلفاء» وينطلق التحشيد العسكري والإعلامي. أراد الحاج معركة حلب

الى تفعيل برامج التطوير والتحديث في الأعمال العسكرية والتسليحية لقوى المقاومة في سوريا وانطلاقاً منها. وعلى هذا المنوال، وضع برامج تشغيلية لعدد كبير من القوى متعددة الجنسيات للعمل عليها، وتدريبها وتجهيزها لقتال إسرائيل، والإعداد لـ«المعركة الكبرى».

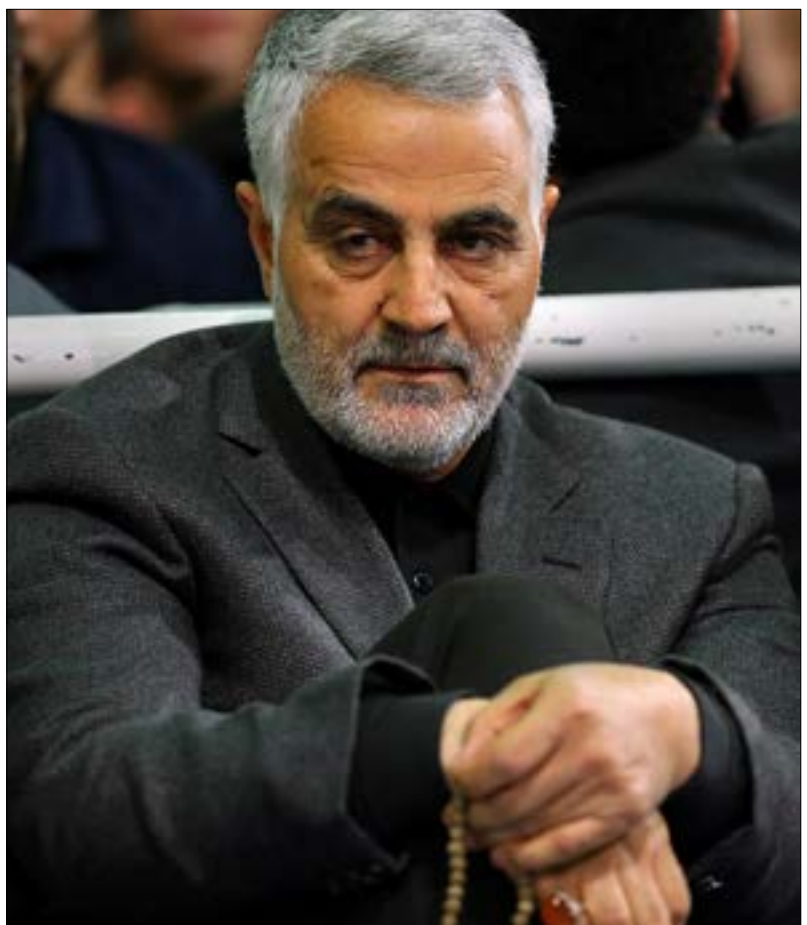
كسر الحدود

كان استحقاق الشمال السوري (حلب 2015 - 2016 / الشرق 2017) منعطفاً حقيقياً في الحرب، أولاه الحاج قاسم اهتماماً كبيراً. يقول أحد القادة الميدانيين الذين شاركوا تحت قيادته في المعركة إن الحاج «تواجد شخصياً في الميدان وعابن السواتر بنفسه»، كما كان يقوم «بعشرات الرحلات، بعضها يومي، بين بغداد ودمشق وبيروت وطهران» لتنسيق العمليات. شكلت معركة حلب بالنسبة إليه «المعركة الحاسمة». كان الرئيس الأسد، بعد السيطرة على المنطقة الوسطى، قد رأى أن تكون حلب هي الوجهة المقبلة، وهو ما تبناه الحاج أيضاً. لم يتأخر سليمان عن المهمة: سرعان ما بدأ بالتخطيط، ليُعلن لاحقاً عن غرفة «عمليات الحلفاء» وينطلق التحشيد العسكري والإعلامي. أراد الحاج معركة حلب

بيجي، تشرين أول 2015. عند مشارف نهاية العمليات التي أفضت إلى تحرير المدينة ومطيطها الأوسع، يكون الحاج قاسم في خلوة استراحة قصيرة في أحد مقرات العمليات. يتسلل مقاتل إلى مكان استراحته، يقف بالسباب، ويومي إليه على حجل بوجود ثلة من رفاقه يرغبون باللقاط الصور معه. يتشم الحاج: «ار خدمتم» (بخدمتم) وينض من فوره، يرتب ثيابه ويخرج إلى المجموعة التي تنتظر في الخارج على أمل يتوسطهم وتبدأ حفلة التصوير التي، كما في كل مرة يجري ضبط الحاج فيها بحضور كاميرا، لا تنتهي. الجنرال الذي يملأ صيته لهم، هذه هي النقطة التي سينكسر ويرسم على الخريطة منطقة العمليات المفترضة ومجاور التقدم الأولية إليها كي يسلم الجميع إلى المهمة طواعية، نزولاً عند سقيم للحاج، لا عهد أمرته لهم غالباً ما كانت الدوائر التي يحددنا المنطقة العمليات شاسعة المساحة، بما يفوق توقعات الحاضرين. درجت في أعقاب ذلك عابة وسط بعض المستشارين الإيرانيين تدعو إلى أن تكون مقاييس خرائط التخطيط المقدمة إلى الحاج دون «الواحد على عشرة آلاف»، كي تصغر مساحة الدائرة التي يرسمها الجنرال المتخمد منقطة الحساس، فإذا

شاء الله تكون نحن منهم، البعض الآخر سينتصر بفك الحصار عن سامراء. الهامرات ودبابتين من نوع أبرامز. قريباً من منطقة الإسحاق، في منتصف الطريق إلى سامراء، تعرقل التقدم البطيء، أصلاً، ثم ما لبث أن جمد إثر التعرض لرميات من جهة العدو. عقد الحاج قاسم اجتماع عمليات ميداني، وتحدث مع الجمع باطمئنان استقره الحاضرون الذين كانوا ماخوذين بالرعب الداعشي. قال سنيكسر: «فيها دواعش، إذا خدم وحررتوها ستكون الطريق مفتوحة إلى سامراء. لم يُطل الحلال:» «سنواصل التقدم»، ختم ثم صعد في سيارة دفع رباعي طالياً من السائق التحرك قداماً. ليست الأوامر العسكرية، ولا الانضباط التنظيمي كانا ما حركا القوات خلفه على ترداد، وحده الحجل من شجاعته، والشعور بالذنب من احتمال تعرضه لمكروه، دفعا نحو خمس عشرة ليلة للحاق به مقدماً غير أنه برمايات أصاب بعضها سيارته، في غضون دقائق، تجاوز الرتل المتخمد منقطة الحساس، وإن

فورا. وسط تفاجؤ الجميع، فتح باب السيارة ونزل سريعا متوجها نحو مجموعة المقاتلين. ارتبك بحذاءه، وسارعوا إلى اللحاق به خشية عليه من العبوات. اقترب الجنرال مبتسماً من ذاك المقاتل، مذبذبه إلى جيب السترة التي كان يرتديها، أخرج منها بعض الأوراق، ثم خلعها ووضعها على كتفي المقاتل المدهول، تناول رأسه بيديه وطبع قبلة على جبينه ثم قفل عائداً إلى السيارة. فيما كان المرافقون يللم بعضهم البعض الآخر، تقدم أحدهم نحو الشباب وسأله: هل تعرف من هو هذا الشخص؟ نفي بريء عكسته سريعا ملاح الشباب، قبل أن ياتيه الجواب من السائل: هذا الحجي قاسم، هنيئاً لك سترته. كان المرافقون على الذمم الذي اجتاح عيونهم، حاولوا قول شيء ما، لكن الحاج رقمهم بواحدة من نظراته الحاسمة أفهمهم بها بأن الموضوع انتهى ولا يرغب بالحديث عنه. تسعة أشهر قبل ذلك الشوارع في مدينة بلد، منتصف حزيران 2014، كانت مشبعة برائحة الخوف السواد الأعظم من أهالي المدينة الواقعة جنوب سامراء مشغولون بتحميم أمتعتهم على سياراتهم تمهيداً للرحيل. داعش أحاطت بالمدينة من معظم الاتجاهات، لكن ثمة منفذاً



(فاز)

أفغان وباكستانيون. بارك في كلمته للجمع الإنصاف على داعش واثني على التصحيحات معلناً إنجاز المهمة التي «بدأتموها قبل ثلاث سنوات ونصف». ينصرف الجميع، ويبدأ الحاج بإعداد نفسه للرحيل. قبل أن يغادر المنزل، يخط بيده رسالة لصاحب الدار التي كان اتخذها مقراً لإقامته، يبلغه فيها أنه اهده صلاة المدون أسفل الرسالة للحضراء التي ضمت معظم مكونات القوات المقاتلة في محور المقاومة: عراقيون، سوريون، لبنانيون، إيرانيون، سليمان.

البيوكمال، تشرين الثاني 2017. يتخفف الحاج قاسم بصعوبة، المنزلة الصدرية التي المته به تزداد سوءاً، وتُخمد همته المستديمة على الحضور في الميدان، يلتحف بعباء عربية ويحزم رأسه بلعبة عربية أيضاً، ويجلس وعلى محياه الإغياء في إحدى غرف مقره، مصرراً على مواكبة سير عمليات تحرير المدينة. يرفض نصيحة الجميع بالذهاب للعلاج والراحة. ما هي إلا أيام وتنتهي العمليات بتحرير المدينة. يدعو إلى اجتماع موسع، ربما كان أحد الاجتماعات الحارة التي ضمت معظم مكونات القوات المقاتلة في محور المقاومة: عراقيون، سوريون، لبنانيون، إيرانيون، سليمان.

نقابة  
المهندسين  
العمومية  
الفرع الهندسين المدنيين الاستشاريين  
تدعى الهيئة العامة للفرع إلى عقد اجتماع في نقابة المهندسين -  
بيت المهندس الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الأربعاء في  
٢٠٢٠/١/٢٩

رئيس الفرع  
م. الي كرم